الزنا

أسباب عذاب القبر

الزنا

الحمد لله رب العالمين: نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

سبحانه: جعل حفظ الفروج من صفات المؤمنين، ورتب الثواب العظيم على ذلك، فقال ﷻ :{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١ - ١١].

وقال ﷻ :{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب: ٣٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: توعد الزناة بمضاعفة العذاب يوم القيامة، والخلود فيه، صاغرين مهانين؛ لعظم جريمتهم وقبح فعلهم، فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : ضمن الجنة لمن حافظ على فرجه، فروى أحمد والحاكم وابن حبان أن الرسول ﷺ قال:«اضمنوا لي

ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: الزنا، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، فإن الموضوع جد خطير، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله: بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الشرع الحنيف جاء ليحافظ على الكليات الخمس وهي: الدين، والعرض، والنفس، والمال، والعقل، ولقد جعل الشرع الحنيف للعرض حرمة كحرمة الدم والمال، ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم وغيره أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعراضكم حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

ولقد أحاط الشرع الحنيف العرض بسياج منيع من جميع جوانبه، فحرم كلَّ نافذة تطل عليه، ابتداءً من النظرة بالعين، وخَطَرةٍ بالقلب، وهمسةٍ بالأذن، ورنةٍ بالحلي، وألزم الحجابَ صوناً له، وحفاظاً عليه، فقال ﷻ :{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ١٥١].

وقال ﷻ :{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣].

وعمل الإسلام بكل قوة على تطهير البيئة الإسلامية من أسباب الإغراء والفساد، حتى يُحَصِّنَ المسلمُ نفسه، ويبتعدَ كلُ إنسان فينا عن أي شيء يدنس عرضه وشرفه، وأمر كلَّ مسلم فينا أن يستعفَ حتى يجد القدرة على الزواج الحلال، فقال ﷻ :{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ الله مِن فَضْلِهِ} [النور: ٣٣] .

فليس من الإسلام أن تُترك البيئةُ تغري بالإثم وتغري بالفاحشة، ونضع الشاب أو الشابة في اللهب، ثم نقول له: لا تحترق.

الحقيقة الثانية: إن رقي النوع الإنساني، ونظافةَ الحضارةِ البشرية، ترتكزُ في المقام الأول على تحديد العلاقة بين الرجل والمرأة، والتسامي بها حتى تبلغَ قمتَها، وتؤتي ثمارها المباركة أسراً مترابطة، وأمماً قوية، ومجتمعاتٍ عفيفة، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً} [الفرقان: ٥٤].

وقال ﷻ :{والله جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ الله هُمْ يَكْفُرُونَ} [النحل: ٧٢].

فليس من الرقي ولا من الحضارة أن يترك الحبل على الغارب بين الرجل والمرأة، وفي النهاية نقول: نحن أحرار، ليست الحرية كما يفهمها البعض أن يفعلَ الإنسانُ كلَّ ما تشتهيه نفسُه، ولكن الحرية الحقيقية أن يفعل الإنسان ما يجب عليه من أوامر شرعية.

فليس هناك حرية مطلقة في هذا الكون، فكل شيء له حدود، حتى الكواكب السيارة لها مساراتها ومداراتها، فقال ﷻ :{وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: ٣٣].

وقال ﷻ :{لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٤٠].

حتى الطائرات لها مسابحها في الجو، حتى البواخر في المحيطات لها مساراتها، كل شيء لا يمكن أن يكون حراً بإطلاق، لا بد من حدود وقيود، وإلا اصطدمت الأشياء بعضها ببعض، فالحرية المطلقة بهيمية حيوانية وليست من الإنسانية في شيء.

وإن الطريق الوحيد لإباحة العلاقة بين الرجل والمرأة هو الزواج، فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون: ٥، ٦].

وروى أبو داود أن الرسول ﷺ قال:«اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ».

الحقيقة الثالثة: إن الزنا لا يجتمع مع الإيمان أبداً، فإذا وجد الزنا انعدم الإيمان، وإذا وجد الإيمان انعدم الزنا، ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري وغيره أن الرسول ﷺ قال:«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وروى البيهقي أن الرسول ﷺ قال:«إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء، فإذا زنى العبد نزع منه سربال الإيمان، فإن تاب رد عليه».

وروى الحاكم أن الرسول ﷺ قال:«من زنى وشرب الخمر، نزع الله ﷻ منه الإيمان، كما يخلعُ الإنسانُ القميصَ من رأسه».

ومن هنا كان الاعتداء على أي فرد من أفراد المجتمع عن طريق الزنا، يعتبر اعتداءً على حق المجتمع كله، ولو كان لهذا الاعتداء ثمرة خاطئة فسيتحملها المجتمع كله، سواء كانت رذيلة تظهر، أو حملاً يولد، ولذلك نجد أن الله ﷻ خص حد الزنا من بين

الحدود بخصائص:

أولاً: القتل فيه بأشنع طريقة، وذلك عن طريق الرجم، إذا كان الزاني أو الزانية متزوجين، وإذا لم يكونا متزوجين فخفف الحد، فجمع بين العقوبة على البدن بالجلد، وعلى القلب بتغريبه عام كامل عن وطنه إلى مسافة القصر.

ثانياً: أن الله ﷻ نهى عباده أن تأخذهم رأفة في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم، فإن الله من رأفته بعباده شرع حد الزنا.

ثالثاً: شهود جماعة من المسلمين إقامة الحد على الزاني والزانية، فقال ﷻ :{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢].

الحقيقة الرابعة: إن من الحيوانات من تأنف من الزنا وترفضه، بل الأعجب من هذا كله أن بعض الحيوانات تقيم حد الرجم على من زنا منها، فتأمل معي ذلك القرد الحيوان الأعجم، فمن المعلوم أن كل قرد له زوجة، لا يعتدي عليها قرد آخر، وهم يختلفون عن كثير من الحيوانات، فجاء في صحيح البخاري عن عيسى بن حطان قال: دخلت مسجد الكوفة، فإذا عمرو بن ميمون جالس، وعنده ناس فقال له رجل: حدثنا بأعجب شيء رأيته في الجاهلية.

قال: كنت في حرث لأهل اليمن، فرأيت قروداً كثيرة اجتمعن، قال: فرأيت قرداً وقردة اضطجعا، ثم أدخلت القردةُ يدها تحت عنق القرد واعتنقته، ثم ناما، فجاء قرد فغمزها من تحت رأسها، فاستلت يدها من تحت رأس القرد، ثم انطلقت معه غير بعيد، فنكحها، وأنا أنظر، ثم رجعتْ إلى مضجعها، فذهبتْ تُدخِل يدها تحت عنق القرد كما كانت، فانتبه القرد، فقام إليها فشم دبرها، فاجتمعت القرود فجعل يشير إليها، فتفرقت القردة، فلم ألبث أن جيء بذلك القرد بعينه،

أعرفه، فانطلقوا بها وبالقرد إلى موضع كثير الرمل، فحفروا لهما حفيرة، فجعلوهما فيها، ثم رجموهما حتى قتلوهما، والله رأيت الرجم قبل أن يبعث الله ﷻ محمداً ﷺ.

فإذا كانت القردة ترفض الزنا وتقيم حد الرجم على من زنا منهم، فما بالك أنت أيها الإنسان، يا من كرمك الله ﷻ، وخلقك فسواك فعدلك.

أخوة الإسلام:

لقد شدد الدين الإسلامي على جريمة الزنا ونظر إليها نظرة عدائية، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من هذه الجريمة.

أولا: جعل الشرع الحنيف الزنا من الكبائر:

بل من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ، فروى البخاري ومسلم أن رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ :«أَنْ تَدْعُوَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ ﷺ :«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ،؟ قَالَ ﷺ :«ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ تَصْدِيقَهَا:{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان: ٦٩].

وروى أحمد والطبراني أن الرسول ﷺ قال:«ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها الرجل في فرج لا يحل له».

ثانيا: جعل الله ﷻ الزنا قرين الشرك في سفالة المنزلة وفي الجزاء

فقال ﷻ :{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٣].

ويقول في الجزاء وهو يقرن بين الزنا وغيره من

الموبقات:{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

ثالثا: جعل الرسول ﷺ الزنا سببا في ظهور الأمراض:

فروى ابن ماجه أن الرسول ﷺ قال:«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

رابعا: جعل الرسول ﷺ الزنا سببا في إنزال العذاب:

فروى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«لا تزال أمتي بخير ما لم يفشُ فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، فأوشك أن يعمهم الله بعذاب».

خامسا: جعل الرسول ﷺ الزنا سببا في كثرة الموت:

فروى مالك والبيهقي أن الرسول ﷺ قال:«ما ظهر الغلولُ في قوم قط إلا أُلقِي في قلوبهم الرعبُ، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموتُ، ولا نقص قومٌ المكيال والميزان إلا قُطِع عنهم الرزقَ، ولا حكم قومٌ بغير الحق إلا فشا فيهم الدم، ولا خَتَرَ قومٌ بالعهد" أي نقضوه" إلا سلط الله عليهم العدو».

سادسا: جعل الرسول ﷺ الزنا من أشراط الساعة:

فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا».

سابعا: جعل الله ﷻ الزنا من أفحش الفواحش.

وأنه بئس الطريق، طريق الحسرة والندامة، وطريق الذل والخيبة، طريق من سلكه كان من الخاسرين، فقال ﷻ :{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: ٣٢].

قال القرطبي: قوله ﷻ :{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا} أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنا.

ولقائل يقول: لماذا حرم الله ﷻ الزنا؟ أقول: حرم الله ﷻ الزنا: لأنه يجمع خصال الشر كلها، من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، وأود الفضيلة.

حرم الله ﷻ الزنا: لأنه جريمة فظيعة، وجناية مزدوجة، وفعلة دنيئة، وعمل قبيح.

حرم الله ﷻ الزنا: لأنه يدنس العرض والشرف، وينزع شعار العفة والطهر والفضيلة، ويلطخ فاعله بالعار والفضيحة.

حرم الله ﷻ الزنا: لأنه يُفسد نظام البيت، ويهز كيان الأسرة، ويقطع العلاقة الزوجية، ويُعرض الأولاد لسوء التربية، مما يتسبب عنه التشرد والانحراف والجريمة.

حرم الله ﷻ الزنا: لأنه يبدد الأموال، ويهتك الأعراض، ويؤدي إلى اختلاط الأنساب، ورمي اللقطاء في الطريق، دون شفقة ولا رحمة، عرضة للموت والعدم.

حرم الله ﷻ الزنا: لأنه يعرض صاحبه إلى غضب المنتقم الجبار، ويجره إلى عذاب جهنم وبئس المصير، فروى أبو يعلى أن الرسول ﷺ قال:«ما ظهر في قوم الزنا، إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله ﷻ».

حرم الله ﷻ الزنا: لأنه يجلب الهم والحزن والخوف، ويجعل الزانية بين خطرين، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على

أهلها وزوجها، ونكست رؤوسهم، فإن حملت من الزنا وقتلت ولدها، جمعت بين جريمتي القتل والزنا، وإن أمسكته أضافت إلى زوجها غير ولده.

إخوة الإسلام:

لقد تسفل كثير من الناس في هذا الوقت من الزمان، فهاموا بالزنا، وفروا من ميدان الشرف والكرامة إلى بؤر الفساد والتلف، وأصبحوا عبيد شهواتهم وفروجهم، يصاحبون في الحرام، ويعتدون على الأعراض، ولا يستحيون من أحد، لا من الخالق ولا من المخلوق، ثم بعد ذلك يرتكبون جريمة الزنا، ولا يكتف الأمر عند هذا الحد، بل يتفاخرون بهذا العمل القبيح مع أن الرسول ﷺ حذرنا من المجاهرة بالمعصية، فروى أبو نعيم أن الرسول ﷺ قال:«إن من شرار الناس المجاهرين» قالوا: يا رسول الله، وما المجاهرون؟ قال ﷺ :«الذي يذنب الذنب بالليل، فيستره الله عليه، فيصبح فيحدث به الناس، فيقول: فعلت البارحة كذا وكذا، فيهتك ستر الله عنه».

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«كل أمتي معافون إلا المجاهرون» قالوا: وما المجاهرون؟ قال ﷺ :«الذي يفعل الفعلة بالليل ويبيت وقد ستره الله ﷻ، ويأتي الصباح ويقول: لقد فعلت البارحة كذا وكذا».

هذا الصنف من الناس الذين يجاهرون بالمعصية قد أساؤوا إلى أنفسهم وإلى أمتهم، وأصبحوا حرباً عوناً على الأخلاق والشرف، وخطراً يهدد الفضيلة والحياء.

لقد خرج فريق من المسلمين على مبادئ الكرامة والأدب، وشذوا عن الطريق المستقيم، ولطخوا أنفسهم بعار الزنا، فأطاع المسلم نداء فرجه فوضعه في الحرام، واستجاب لدعوة شيطانه فتمرغ في الآثام، وزنا بالمرأة وجامعها بغير حق.

عجباً للزاني: يترك حلاله الطيب، ويتهافت على الحرام الخبيث.

عجباً للزاني: كرهه الشيطان في الحلال، وزين له الحرام، فتكالب عليه وجد في طلبه، واشتهته نفسه القذرة.

عجباً للزاني: إذا كان الإنسان منا يأنف من طعام قد سبقه إلى غيره، فكيف لا يأنف من امرأة هي مورد الزنا، وعرضة للقاصي والداني.

عجباً للزاني: كيف يدع امرأته الحلال التي أخلصت له وأوقفت حياتها عليه، ويذهب إلى امرأة عاهرة فاجرة بغية، لا علاقة بينها وبينه إلا علاقة البهائم، بل أضل.

واسمع معي أخي المسلم إلى الرسول ﷺ حيث يقول:«مررت ليلة أن أسري بي بقوم بين أيديهم لحم طيب في قدر طيب، ولحم خبيث في قدر خبيث، ولكنهم يأكلون اللحم الخبيث المتعفن، ويتركون الطيب الشهي، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟» قال جبريل عليه السلام : هؤلاء هم الزناة، الرجل تكون عنده المرأة الحلال فيتركها، ويأتي امرأة خبيثة، والمرأة يكون عندها الرجل الحلال، فتقوم من عنده، وتأتي رجلاً حراماً خبيثاً، فتبيت عنده.

أخي المسلم: أيرضى أي إنسان فينا مهما كانت أخلاقه أن يعتدي أحد على حرمة زوجته، أو على حرمة أخته، أو على عرض بنته، فإذا كان الإنسان منا لا يرضى لنفسه ذلك، فكيف يرضاه لغيره؟

روى البيهقي أَنَّ رَجُلاً أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، قَالَ: فَهَمَّ مَنْ كَانَ قُرْبَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَنَاوَلُوهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«دَعُوهُ» ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :«ادْنُهْ، أَتُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ ذَلِكَ بِأُخْتِكَ» قَالَ: لاَ، قَالَ:«فَبِابْنَتِكَ» قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ بِكَذَا وَكَذَا، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: لاَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :«فَاكْرَهْ مَا كَرِهَ الله، وَأَحِبَّ لأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ» قَالَ: يَا رَسُولَ الله فَادْعُ الله أَنْ يُبَغِّضَ إِلَيَّ النِّسَاءَ قَالَ النبي ﷺ :«اللَّهُمَّ بَغِّضْ إِلَيْهِ النِّسَاءَ» قَالَ: فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ بَعْدَ لَيَالٍ، فَقَالَ: يَا

رَسُولَ الله مَا مِنْ شيء أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنَ النِّسَاءِ، فَائْذَنْ لِي بِالسِّيَاحَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«إِنَّ سِيَاحَةَ أمتي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله».

فهل انقطعت الصلة الدينية بين المسلمين؟ هل انحلت الروابط بين الناس، حتى صار المسلم لا يشعر بألم أخيه، ولا يبالي بحرمته ولا بحقه؟

إن الله ﷻ أنعم على عباده بنعمة المال والصحة، فنجد بعض الناس وبخاصة الشباب حاربوا الله ﷻ وبدلوا هذه النعم واستعملوها في مبارزة ومحاربة الله ﷻ، فنجد بعض الشباب والرجال يوغرون الفتيات بالكلام المعسول والمال من أجل استدراجهم والوقوع في الزنا، حتى تقع الفتاة فريسة في أيديهم ويلغوا فيها ولوغ الكلاب المسعورة.

أتدرون ما جزاء الرجل الذي يبدل نعمة الله ﷻ ويستعملها في المعاصي، اقرأ معي قول الله ﷻ :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

فمن اغتصب شرف امرأة يكون قد ارتكب عملاً لا يمكن إصلاحه بأي حال من الأحوال.

بالله عليكم خبروني: كيف يتجرأ الزاني ويختلي بامرأة أجنبية من غير حياء ولا خجل من الله ﷻ ؟

بالله عليكم خبروني: بأي وجه يكشف الزاني عن عورة أخته المسلمة فيسلبها عرضها وشرفها وكرامتها؟

إن الزاني عند ارتكاب جريمة الزنا يستتر ويخاف أن يراه الناس على تلك الجريمة البشعة، أفلا يخاف الزاني من المنتقم الجبار؟ ألا يستحي الزاني من علام الغيوب؟

قال ﷻ :{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً} [النساء: ١٠٨].

فالله ﷻ معك يا هذا أينما كنت وحيثما ذهبت، فالله ﷻ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فإذا دخلت بيتك وأغلقت عليك الأبواب فالله ﷻ معك ويراك، حتى وإن تسترت بظلام الليل، فالله ﷻ مطلع عليك ويراك، قال ﷻ :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧].

أخوة الإسلام:

لقد وضع الإسلام الحنيف حصوناً وأسواراً تمنع الإنسان من ارتكاب الزنا، فتعالوا معي لنتعرف على طرق الوقاية من الزنا.

أولاً: غض البصر: قال ﷻ :{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣٠، ٣١].

قال بعض المفسرين: قدم الله ﷻ غض البصر على حفظ الفروج؛ لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه، فالنظر سهم مسموم من سهام إبليس اللعين.

ثانياً: تجنب الجلوس في الطرقات: فالجلوس في الطرقات من أكبر أسباب الانحراف، نظراً لتعلق البصر بالعاديات والرائحات، روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ ﷺ :«فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ، قَالَ ﷺ :«غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

ثالثاً: النهي عن مصافحة المرأة الأجنبية: إن الرسول ﷺ حرم مصافحة الرجل للمرأة، فروى الطبراني أن الرسول ﷺ قال: (لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ».

رابعاً: التحذير من الخلوة والاختلاط: روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم».

وروى الترمذي أن الرسول ﷺ قال:«لا يخلون رجلا بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان».

وروى أبو داود عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم - أي من الصلاة - مكث قليلاً، وكانوا يرون أن ذلك كي ينفذ الرجال قبل النساء.

وروى النسائي أن النساء كن إذا سلّمن قُمْن، وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله ﷻ، فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال.

خامساً: الأمر بتحصين المرأة بالحجاب: فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب: ٥٩]

ووضع الإسلام شروطاً لزى المرأة من هذه الشروط: أن يكون

واسعاً فضفاضاً لا يصف ولا يشف، وألا يكون معطراً، وألا يشبه ثوب الكافرات، وألا يكون زينة في نفسه، وألا يشبه ثوب الرجال.

وأما الدعوة إلى خلع الحجاب دعوة هدامة يحركها أعداء الإسلام، وأعوان الشيطان، فليحرص كل مسلم فينا إلزام زوجته وابنته وأخته بزي العفاف والحشمة، ولا يلتفت إلى نباح الكلاب.

ولتحرص كل مسلمة على ارتداء الزي الإسلامي، ولا تعبأ بالدعاوى التي يطلقها أعداء الأمة الإسلامية، قال ﷻ :{أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ واللهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٢١].

سادساً: صيانة العين والسمع عن المعاصي: مثل سماع الأغاني الماجنة، ومشاهدة الأفلام الهابطة، واقتناء المجلات التي تظهر العورات، وتكشف السوءات، واقتناء شرائط الفديو المخلة، قال ﷻ :{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء: ٣٦]

سابعاً: الحض على الزواج: روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّه لَهُ وِجَاءٌ».

ثامناً: الاهتمام بتربية الأولاد والشباب: فتربية الأولاد والشباب على العقيدة السليمة في الله ﷻ، وعلى أداء الصلوات، وبث روح الكراهية لأعداء الإسلام، ومجانبة المفسدين، وتأسيس الأطفال على حب الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين، يعد صيانة كبيرة لهم، كما قال الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما :«احفظ الله يحفظك».

تاسعاً: مراقبة الله في السر والعلانية: فأفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان، وهذا قمة الأدب، قال ﷻ :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ

خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله ﷻ للزاني، هناك عقوبات دنيوية، وعقوبات في القبر، وعقوبات أخروية، أما العقوبات الدنيوية فهي ما يأتي:

١ - بغض الله ﷻ للزاني: روى النسائي أن الرسول ﷺ قال:«أربعة يبغضهم الله ﷻ : البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر».

٢ - توريث الفقر: روى البيهقي أن الرسول ﷺ قال:«الزنا يورث الفقر».

٣ - عدم قبول دعاء الزاني: روى أحمد والطبراني أن الرسول ﷺ قال:«تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ؟ فَلا يُبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلا اسْتَجَابَ الله لَهُ، إِلا زَانِيَةٌ تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارٌ».

٤ - الجلد إذا لم يكن الزاني متزوجاً: قال ﷻ :{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢].

٥ - الرجم إذا كان الزاني متزوجاً: روى البخاري أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: " إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ الله آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا، وَعَقَلْنَاهَا، وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ الله ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: والله مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ الله، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا الله، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ الله حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ،

أَوْ كَانَ الْحَبَلُ، أَوْ الِاعْتِرَافُ".

أما العقوبات التي في القبر فهي: ما رواه البخاري أن الرسول ﷺ قال:«رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة... قالا لي: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى بناءٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ، فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَأَصْوَاتًا، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ، مَا هَؤُلاءِ؟.... وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بناءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي».

أما العقوبات التي في الآخرة فهي ما يأتي:

١- عدم نظر الله ﷻ إليه: روى مسلم والنسائي أن الرسول ﷺ قال:«ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ».

٢- اللعن: روى البزار أن الرسول ﷺ قال:«إن السماوات السبع والأرضين السبع لتلعن الشيخ الزاني، وإن فرج الزناة ليؤذي أهل النار نتن ريحها».

٣- عدم دخول الزاني الجنة: روى الترمذي وابن حبان والحاكم أن الرسول ﷺ قال:«ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو».

* * *